المراقبة الذاتية من خلال السنة النبوية
دراسة موضوعية

الدكتور
سردار حمد أمين إبراهيم

Watching One Self (subjective)
Through the prophet's deeds – Obective studies
By
Dr: Sardar Hamad Ameen Ibrahim

The research shows watching Man to himself , it is a source of religion and to be pious because watching Man to himself is a remedy against a serious illness which named (decay of administration) . So the research shows the definition in language and research in the book and suna and effect . After that comes the reality of watching and its ranks and kinds and advantages and its good results to Man and society .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد جاءت الشريعة الإسلامية بنصوصها القرآنية والسنة النبوية والتي تأمر المسلم بالتحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل، ومنها أن يتصف المسلم بصفة تميزه عن غيره، وهذه الصفة كفيلة بان تجعل المجتمع سعيدا وأمينا وناجحا ومزدهرا، بل الصفة هذه كفيلة بنجاح المرء في الدنيا والآخرة .

وبالمقابل إذا لم يتصف بها فستكون سببا في فشل وخراب ودمار المجتمع، وخسران المرء في الدنيا والآخرة والعياذ بالله تعالى، ألا وهي صفة(المراقبة أو الرقابة الذاتية، أو رقابة الضمير والوجدان)، ونعني بها أن يستشعر المرء أن الله ﷻ مطلع عليه في أقواله وأفعاله وأحواله، والإيمان والاعتقاد بان الله ﷻ عالم عليم علام، عالم الغيب والشهادة، الذي أحاط بكل شيء علماً، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، الذي يعلم السر وأخفى، ما كان وما يكون وما هو كائن قبل أن يكون إلى يوم القيامة، فيستحي المرء من نظر الله تعالى إليه، فيفعل ما أمر به على أتم وجه، ويجتنب ما حرم عليه، والمراقبة أصل عظيم من أصول الدين والتقوى .

وإذا ما اتصف كل فرد من أفراد المجتمع، فسينعم المجتمع أفرادا وجماعات بالحياة الطيبة السعيدة والتي يتمناها كل إنسان على وجه هذه المعمورة، وهي دواء شاف وكاف لداء عضال أصيب به كثير من مؤسسات الحياة الرسمية منها وغيرها، وهو (الفساد الإداري)، والذي يشمل الرشوة والاختلاس وعدم الالتزام بالدوام وعدم إتقان العمل وتوسيد الأمر إلى غير أهله، والسرقة والكذب والخيانة والغش والغدر والقتل واخذ المال الحرام.

فالمراقبة الذاتية جاءت لتكون علاجا ربانيا لهذه الأمراض المتفشية، عافانا الله تعالى، وبهذا يتبين أهمية هذا الموضوع.

أهداف البحث: بيان أن المراقبة أصل عظيم من أصول الدين والتقوى، وأن التخلق بهذه الصفة كفيلة بإصلاح وعلاج مرض خطير ألا وهو (الفساد الإداري)، والذي أصبح متفشيا في مجتمعات اليوم، المسلمة منها وغيرها.

تقسيم البحث: وقد جاء البحث مشتملا على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة

المقدمة: وقد أشتمل على تمهيد للدخول في الموضوع وبيان أهمية الموضوع وأهدافه، ومنهجية البحث .

المبحث الأول : تعريف المراقبة والحث عليها من الكتاب والسنة والآثار .

المبحث الثاني: بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها وأنواعها وفوائدها.

المبحث الثالث : اثر المراقبة في إصلاح الفساد الإداري

الخاتمة : خلاصة ما جاء به البحث واهم النتائج التي توصلت إليها.

وفي الختام نسأل الله سبحانه حسن الختام وان ينعم علينا وعلى أمتنا بالأمن والأمان والسلامة والإسلام والحشر تحت لواء سيدنا محمد سيد ولد عدنان عليه أفضل الصلاة وأتم السلام آمين اللهم أمين .

الباحث

المبحث الأول

تعريف المراقبة والحث عليها من الكتاب والسنة النبوية

المراقبة لغة: قال ابن فارس:(مصدر قولهم :راقب مراقبة، وهو مأخوذ من مادة رقب التي تدل على انتصاب لمراعاة شيء، ومن ذلك: الرقيب وهو الحافظ، يقال منه: رقبت أرقب رقبة ورقبانا، والمرقب: المكان العالي يقف عليه الناظر ومن ذلك اشتقاق الرقبة لأنها منتصبة، ولأن الناظر لابد ينتصب عند نظره، ويقال أرقبت فلانا هذه الدار، وذلك أن تعطيه إياها يسكنها، ثم يقال له: إن مت قبلي رجعت إلي، وان مت قبلك فهي لك، وهذا من المراقبة، كأن كل واحد منهما يرقب موت صاحبه، والرقوب: المرأة التي لا يعيش لها ولد، كأنها ترقبه لعله يبقى لها، وجاء في الصحاح: والرقيب: المنتظر، والرقيب: الموكل بالضرب، والرقيب: الثالث من سهام الميسر، والترقب:الانتظار، وكذلك: الارتقاب، قال تعالى: ﴿وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم رَّقِيبٌ﴾[1]

وقال ابن منظور: راقب الله تعالى في أمره، أي خافه، ورقبه يرقبه رقبة ورقبانا، بالكسر فيهما، ورقوبا، وترقبة، وارتقبه: انتظره ورصده، وارتقب: أشرف وعلا، والمرقب والمراقبة: الموضع المشرف، يرتفع عليه الرقيب، ورقب الشيء يرقبه: وفي أسماء الله تعالى (الرقيب)

---

(١) سورة هود: من الآية: ٩٣ .

وهو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء، فعيل بمعنى فاعل)[١]

المراقبة اصطلاحا: اذكر هنا تعريفات:

١. قال إبراهيم الخواص[٢]: (المراقبة: خلوص السر والعلانية لله ﷻ)[٣] .

٢. قال المحاسبي[٤] رحمه الله تعالى :(المراقبة: دوام علم القلب بعلم الله ﷻ في السكون والحركة علما لازما مقترنا بصفاء اليقين، أما أول المراقبة، فهو علم القلب بقرب الرب ﷻ)[٥].

٣. قال ابن القيم، رحمه الله تعالى:(المراقبة دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق ﷻ على ظاهره وباطنه)[٦].

٤. قال الجرجاني، رحمه الله تعالى:(استدامة علم العبد باطلاع الرب عليه في جميع أحواله)[٧].

الحث على المراقبة من الكتاب والسنة والآثار

الآيات: وردت الآيات القرآنية في بيان اسم (الرقيب)، اسم من أسماء الله تعالى الحسنى وصفة من صفاته، لنا فيها اقتداء ، يقول ابن عربي[٨] رحمه الله تعالى :(المراقبة نعت

---

(١) لسان العرب: ٤٢٤/١محمد بن مكرم المعروف بابن منظور الأفريقي المصري.

(٢) إبراهيم بن احمد بن إسماعيل الخواص (ت ٢٩١هـ ـ٩٠٤م)، صوفي ،كان أوحد المشايخ في وقته من أقران الجنيد، ولد في سر من رأى ، ومات في جامع الري، والخواص :بائع الخوص الأعلام: ٢٢/١، خير الدين الزركلي .

(٣) مدارج السالكين :٤٨٣/١، ابن القيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) .

(٤) الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله (ت ٢٤٣هـ)، من أكابر الصوفية ،كان عالما بالأصول والمعاملات واعظا ، مبكيا ، وله تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم ، ولد ونشأ بالبصرة ، ومات ببغداد، من تصانيفه: (الرعاية لحقوق الله ﷻ، البعث والنشور) ـ الأعلام: ١٥٣/٢.

(٥) الوصايا :٣١٣ ، الحارث بن اسد المحاسبي .

(٦) مدارج السالكين: ٦٨/٢ .

(٧) التعريفات :٢٩٣ ، علي بن حمد بن علي الجرجاني (ت٨١٦هـ) .

(٨) ابن عربي محمد بن علي بن محمد، أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي، المعروف محيي الدين ابن عربي، الملقب بالشيخ الأكبر، ولد بالأندلس ، له نحو أربعمائة كتاب ورسالة، منها: (الفتوحات المكية وفصوص الحكم ومفاتح الغيب)، مات بالشام سنة (١٢٤٠م) ـ الأعلام: ١٧٠/٧.

الهي لنا فيه شرب)[١]، وهذه بعض الآيات:

١. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [٢] .

يقول ابن كثير، رحمه الله تعالى: (أي هو مراقب لجميع أحوالكم وأعمالكم، كما قال: (والله على كل شيء شهيد)، وفي الحديث الصحيح: (اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، وهذا إرشاد وأمر بمراقبة الرقيب، ولهذا ذكر تعالى أن أصل الخلق من أب واحد وأم واحدة، ليعطف بعضهم على بعض ويحننهم على ضعفائهم)[٣].

٢. قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ [٤] ، يقول الشيخ السعدي:(أي مراقبا للأمور وعالما بما إليه تؤول، وقائما بتدبيرها على أكمل نظام وأحسن أحكام)[٥].

٣. قال الله تعالى: ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ﴾ [٦] يقول ابن تيمية، رحمه الله تعالى: (دليل على أنه بعد توفيته لم يكن الرقيب عليهم إلا الله دون المسيح، فإن قوله كنت أنت يدل على الحصر، كقوله: إن كان هذا هو الحق ونحو ذلك، فعلم أن المسيح بعد توفيته ليس رقيبا على أتباعه، بل الله هو الرقيب المطلع عليهم المحصي أعمالهم المجازي عليها، والمسيح ليس برقيب فلا يطلع على أعمالهم ولا يحصيها ولا يجازيهم بها فصل فساد قول النصارى في أن المسيح خالق)[٧].

الأحاديث: وردت الأحاديث الكثيرة في الحث على المراقبة معنى، منها:

١. عن أبي هريرة، ﷺ: (أن رسول الله كان يوما بارزا للناس إذ أتاه رجل يمشي، فقال: يا رسول الله ما الإيمان، قال: الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته ورسله، ولقائه، وتؤمن بالبعث الآخر، قال: يا رسول الله ما الإسلام، قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان، قال: يا رسول الله ما الإحسان، قال: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال يا رسول الله متى الساعة، قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها، إذا ولدت المرأة ربتها فذاك من أشراطها، وإذا كان الحفاة العراة رؤوس الناس فذاك من أشراطها

---

(١) الفتوحات المكية :٣/ ٢٤٣ ، للشيخ محيي الدين بن عربي (ت ٦٣٨هـ) .

(٢) سورة النساء آية (١) .

(٣) تفسير القرآن العظيم: ٤٩٤/١ ، لإسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ) .

(٤) سورة الأحزاب:من الآية: ٥٢ .

(٥) تفسير السعدي: ٦٧٠/١ ، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي .

(٦) سورة المائدة: من الآية: ١١٧ .

(٧) دقائق التفسير :٩٧/٢، لاحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، أبو العباس (ت ٧٢٨هـ) .

في خمس لا يعلمهن إلا الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ﴾[١]، ثم انصرف الرجل، فقال: ردوا علي، فأخذوا ليردوا فلم يروا شيئا، فقال: هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم)[٢].

يقول الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم:

(هذا من جوامع الكلم التي أوتيها ﷺ، لأنا لو قدرنا أن أحدنا قام فى عبادة وهو يعاين ربه ﷻ ، لم يترك شيئا مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت واجتماعه بظاهره وباطنه على الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوهها الا أتى به، فقال ﷺ: اعبد الله في جميع أحوالك، كعبادتك في حال العيان، فان التتميم المذكور فى حال العيان، إنما كان لعلم العبد باطلاع الله ﷻ عليه، فلا يقدم العبد على تقصير فى هذا الحال للاطلاع عليه، وهذا المعنى موجود مع عدم رؤية العبد، فينبغي أن يعمل بمقتضاه، فمقصود الكلام الحث على الإخلاص في العبادة ومراقبة العبد ربه تبارك وتعالى فى اتمام الخشوع والخضوع وغير ذلك، وقد ندب أهل الحقائق إلى مجالسة الصالحين ليكون ذلك مانعا من تلبسه بشيء من النقائص احتراما لهم واستحياء منهم، فكيف بمن لا يزال الله تعالى مطلعا عليه فى سره وعلانيته، قال القاضي عياض، رحمه الله: وهذا الحديث قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان وأعمال الجوارح وإخلاص السرائر والتحفظ من آفات الأعمال، حتى أن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه)[٣] .

٢. عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ ، قال :(سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه)[٤].

يقول ابن حجر رحمه الله تعالى:

---

(١) سورة لقمان: من الآية: ٣٤ .

(٢) صحيح البخاري: ٢٧/١، رقم الحديث: ٥٠ ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ) وصحيح مسلم: ٣٩/١، رقم الحديث: ٩، مسلم بن الحجاج، أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم: ١٥٧/١ـ١٥٨، أبو زكريا يحيى بن شرف . النووي (ت٦٧٦هـ) .

(٤) صحيح البخاري: ٢٣٤/١، رقم الحديث: ٦٢٩، وصحيح مسلم: ٧١٥/٢، رقم الحديث: ١٠٣١.

(وفي مسند أحمد من حديث أنس بإسناد حسن مرفوع [أن الملائكة، قالت: يا رب هل من خلقك شيء أشد من الجبال، قال: نعم، الحديد، قالت: فهل أشد من الحديد، قال: نعم، النار، قالت: فهل أشد من النار، قال: نعم، الماء، قالت: فهل أشد من الماء، قال: نعم، الريح، قالت: فهل أشد من الريح، قال: نعم ابن آدم يتصدق بيمينه، فيخفيها عن شماله، ثم إن المقصود منه المبالغة في إخفاء الصدقة، بحيث أن شماله مع قربها من يمينه وتلازمهما لو تصور أنها تعلم لما علمت ما فعلت اليمين لشدة إخفائها، فهو على هذا من مجاز التشبيه ويؤيده رواية حماد بن زيد عند الجوزقي، تصدق بصدقة، كأنما أخفى يمينه من شماله، ويحتمل أن يكون من مجاز الحذف والتقدير حتى لا يعلم ملك شماله وأبعد من زعم أن المراد بشماله نفسه، وأنه من تسمية الكل باسم الجزء، فإنه ينحل إلى أن نفسه لا تعلم ما تنفق نفسه، وقيل: هو من مجاز الحذف، والمراد بشماله من على شماله من الناس، كأنه قال: مجاور شماله، وقيل المراد أنه لا يرائي بصدقته، فلا يكتبها كاتب الشمال، وحكى القرطبي عن بعض مشايخه أن معناه أن يتصدق على الضعيف المكتسب في صورة الشراء لترويج سلعته، أو رفع قيمتها واستحسنه، وفيه نظر إن كان أراد أن هذه الصورة مراد الحديث خاصة وإن أراد أن هذا من صور الصدقة المخفية، فمسلم والله أعلم، قوله ذكر الله، أي بقلبه من التذكر أو بلسانه من الذكر وخاليا، أي من الخلو، لأنه يكون حينئذ أبعد من الرياء والمراد خاليا من الالتفات إلى غير الله ولو كان في ملأ، ويؤيده رواية البيهقي ذكر الله بين يديه ويؤيد الأول رواية ابن المبارك وحماد بن زيد ذكر الله في خلاء، أي في موضع خال، وهي أصح قوله: ففاضت عيناه، أي فاضت الدموع من عينيه وأسند الفيض إلى العين مبالغة، كأنها هي التي فاضت، قال القرطبي: وفيض العين بحسب حال الذاكر وبحسب ما يكشف له، ففي حال أوصاف الجلال يكون البكاء من خشية الله، وفي حال أوصاف الجمال يكون البكاء من الشوق إليه، قلت: قد خص في بعض الروايات بالأول، ففي رواية حماد بن زيد عند الجوزقي، ففاضت عيناه من خشية الله ونحوه في رواية البيهقي ويشهد له ما رواه الحاكم من حديث أنس مرفوعا من ذكر الله، ففاضت عيناه من خشية الله حتى يصيب الأرض من دموعه لم يعذب يوم القيامة)[1]

٣. عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ، قال: (بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون إذ أصابهم مطر فأووا إلى غار، فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعض: إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه، فقال واحد منهم: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أجير عمل لي على فرق من أرز فذهب وتركه وإني

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ١٤٧/٢، لأحمد بن علي بن حجر، أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢هـ).

عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته فصار من أمره أني اشتريت منه بقرا وأنه أتاني يطلب أجره فقلت اعمد إلى تلك البقر فسقها فقال لي إنما لي عندك فرق من أرز فقلت له اعمد إلى تلك البقر فإنها من ذلك الفرق فساقها فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساحت عنهم الصخرة فقال الآخر اللهم إن كنت تعلم كان لي أبوان شيخان كبيران فكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي فأبطأت عليهما ليلة فجئت وقد رقدا وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع فكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساحت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء فقال الآخر اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي ابنة عم من أحب الناس إلي وأني راودتها عن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت فأتيتها بها فدفعتها إليها فأمكنتني من نفسها فلما قعدت بين رجليها قالت اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه فقمت وتركت المائة دينار فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا)[١].

يقول الإمام النووي : (وذكره النبي ﷺ في معرض الثناء عليهم وجميل فضائلهم وفي هذا الحديث فضل بر الوالدين وفضل خدمتهما وإيثارهما عمن سواهما من الأولاد والزوجة وغيرهم وفيه فضل العفاف والانكفاف عن المحرمات لاسيما بعد القدرة عليها والهم بفعلها ويترك لله تعالى خالصا وفيه جواز الإجارة وفضل حسن العهد وأداء الأمانة والسماحة في المعاملة)[٢]

٤. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : قال الله ﷻ:(إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعمل، فإذا عملها فأنا أكتبها بعشر أمثالها، وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها، فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها، وقال رسول الله ﷺ قالت الملائكة: رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة، وهو أبصر به، فقال: ارقبوه، فإن عملها فاكتبوها له بمثلها وإن تركها فاكتبوها له حسنة، إنما تركها من جراي، وقال رسول الله ﷺ إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وكل سيئة يعملها تكتب بمثلها حتى يلقى الله)[٣].

---

(١) صحيح البخاري: ١٢٧٨/٣، رقم الحديث: ٣٢٧٨ وصحيح مسلم: ٢٠٩٩/٤، رقم الحديث: ٢٧٤٣.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم: ٥٦/١٧ .

(٣) صحيح البخاري: ٢٧٢٤/٦، رقم الحديث ٧٠١١ ، وصحيح مسلم: ١١٧/١، رقم الحديث: ١٢٩.

٥. قال معاذ بن جبل، أي رسول الله أوصني، قال: (اعبد الله كأنك تراه واعدد نفسك من الموتى واذكر الله عند كل حجر وشجر وإذا عملت السيئة فاعمل بجنبها حسنة السر بالسر والعلانية بالعلانية)[١].

يقول المناوي[٢]، رحمه الله تعالى: (أعبد الله وحده حال كونك كأنك تراه، فإن العبد إذا علم أن الله مطلع على عبادته وسره وعلنه فيها اجتهد في إخلاصه وإتقانها على أكمل ما أمكنه وليس في هذا ونحوه ما يدل على جواز رؤيته تعالى في الدنيا كما وهم...، اعبد الله كأنك تراه ومحال أن تراه وتشهد معه سواه وهذا يسمى مقام المشاهدة والمراقبة وهو أن لا يلتفت العابد في عبادته بظاهره إلى ما يلهيه عن مقصوده ولا يشغل باطنه بما يشغله عن مشاهدة معبوده، فإن لم يحصل له هذا المقام هبط إلى مقام المراقبة المشار إليه، بقوله: فإن لم تكن تراه فإنه يراك، أي إنك بمرأى من ربك لا يخفاه شيء من أمرك ومن علم أن معبوده مشاهد لعبادته، تعين عليه تزيين ظاهره بالخشوع وباطنه بالإخلاص والحضور، فإنه: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾[٣] ، وفيه حث على كمال الإخلاص ولزوم المراقبة، قيل: راود رجل امرأة، فقالت: ألا تستحي فقال لا يرانا إلا الكواكب، قالت: فأين أنت من مكوكبها، وقال العارف ابن عربي: لو لم يبصرك ولم يسمعك لجهل كثيرا منك ونسبة الجهل إليه محال، فلا سبيل إلى نفي هاتين الصفتين عنه بحال)[٤] .

٦. حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوما، فقال:(يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك،احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف)[٥] ، وفي رواية (احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، واعلم أن الخلائق لو اجتمعوا على أن يعطوك شيئا لم يرد الله أن

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٧٨/٧، رقم الحديث: ٣٤٣٢٥ ، والمعجم الكبير، للطبراني: ٢٠ ١٧٥ ، رقم الحديث: ٣٧٤ سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (ت٣٦٠هـ) .

(٢) محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ألحدادي، ثم المناوي القاهري زين الدين من كبار العلماء بالدين والفنون ، انزوى للبحث والتصنيف . وكان قليل الطعام كثير السهر له ثمانين مصنفا ،منها (كنوز الحقائق وفيض القدير وغيرهما)، عاش ومات بالقاهرة سنة (١٦٢٢م) ــ الأعلام: ٧٥/٧.

(٣) سورة غافر:الآية: ١٩.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير:٥٥١/١، لعبد الرؤوف المناوي .

(٥) سنن الترمذي: ٦٦٧/٤، رقم الحديث: ٦٥١٦ .

يعطيك لم يقدروا عليه، ولو اجتمعوا أن يصرفوا عنك شيئا أراد الله أن يصيبك به لم يقدروا على ذلك، فإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا...)[١] قال المباركفوري[٢] رحمه الله تعالى: (احفظ الله أي في أمره ونهيه يحفظك، أي يحفظك في الدنيا من الآفات والمكروهات وفي العقبى من أنواع العقاب والدركات احفظ الله تجده تجاهك، قال الطيبي: أي راع حق الله وتحر رضاه تجده تجاهك أي مقابلك وحذاءك، والتاء بدل من الواو كما في تقاة وتخمة، أي احفظ حق الله تعالى حتى يحفظك الله من مكاره الدنيا والآخرة)[٣]

الآثـــار:

١. عن عبد الله بن دينار، قال:(خرجت مع ابن عمر إلى مكة فعرسنا، فانحدر علينا راع من جبل، فقال له ابن عمر أراع؟ قال: نعم، قال: بعني شاة من الغنم، قال:إني مملوك، قال: قل لسيدك أكلها الذئب، قال فأين الله ﷻ! قال ابن عمر: فأين الله، ثم بكى، ثم اشتراه بعد فأعتقه)[٤].

٢. قال ابن المبارك لرجل:(راقب الله تعالى، فسأله عن تفسيرها، فقال: كن في الدنيا كأنك ترى الله ﷻ)[٥] .

٣. وقال سفيان الثوري:(عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية، وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة)[٦] .

٤. يقول ابن عطاء الله السكندري[٧]، عن اسم الرقيب: (أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الأوقات)[٨].

---

(١) المعجم الكبير: ١٢٣/١١ ، رقم الحديث: ١١٢٤٣.

(٢) أبو العلي، محمد عبد الرحمن بن الرحيم المباركفوري (ت ١٣٥٣هـ)، ولد بمباركفور ــ الهند ، كان ورعا إماما في السنة ، أوذي في الله كثيرا، فصبر ، صار ضريرا آخر عمره ،له مؤلفات منها (تحفة الأحوذي شرح الترمذي ، أبكار المنن في تنقيد آثار السنن ، ضياء الأبصار، وغيرهما) ــ مقدمة تحفة الاحوذي شرح الترمذي .

(٣) تحفة الأحوذي: ١٨٥/٧، لمحمد عبد الرحمن المباركفوري .

(٤) سير أعلام النبلاء: ٢١٦/٣، لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، أبو عبد الله (ت٧٤٨هـ) .

(٥) إحياء علوم الدين :١٢٩، أبو حامد بن محمد الغزالي .

(٦) المرجع نفسه.

(٧) احمد بن محمد بن عبد الكريم، ابو الفضل تاج الدين ابن عطاء الله الاسكندري (ت ٧٠٩هـ ــ١٣٠٩م متصوف ،شاذلي من العلماء ، له تأليف، منها: (الحكم العطائية ،وتاج العروس في الوصايا والمواعظ، ولطائف المنن).الأعلام: ٢١٢/١.

(٨) إحياء علوم الدين :١٢٩ .

٥. قال الجريري:(أمرنا هذا مبني على أصلين: أن تلزم نفسك المراقبة لله ﷻ ويكون العلم على ظاهرك قائما)[١].

٦. قال رجل للجنيد[٢]: (بم استعين على غض البصر؟ قال: بعلمك أن الناظر إليك أسبق من نظرك إلى المنظور إليه)[٣].

٧. سئل ذو النون[٤]: بم ينال العبد الجنة؟ فقال:(بخمس: استقامة ليس فيها روغان، واجتهاد ليس معه سهو، ومراقبة الله تعالى في السر والعلانية، وانتظار الموت بالتأهب اه، ومحاسبة النفس قبل إن تحاسب)[٥].

٨. قال ابن الجوزي: (الحق ﷻ أقرب إلى العبد من حبل الوريد، لكنه عامل العبد معاملة الغائب عنه البعيد منه، فأمر بقصد نيته، ورفع اليدين إليه، والسؤال له. فقلوب الجهال تستشعر البعد، ولذلك تقع منهم المعاصي، إذ لو تحققت مراقبتهم للحاضر الناظر لكفوا الأكف عن الخطايا، والمتيقظون علموا قربه فحضرتهم المراقبة، وكفتهم عن الانبساط)[٦].

٩. قال ابن منظور: فسر النبي ﷺ الإحسان حين سأله جبريل صلوات الله عليهما وسلامه فقال: (هو إن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك. أراد بالإحسان الإشارة إلى المراقبة وحسن الطاعة فان من راقب الله أحسن عمله)[٧].

١٠. سئل بعضهم عن قوله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾[٨]، فقال: (معناه ذلك لمن راقب ربه ﷻ وحاسب نفسه وتزود لمعاده)[٩].

١١. قال أبو العتاهية :

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب

---

(١) المرجع نفسه.

(٢) الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزاز ، ابو القاسم (ت ٢٩٧هـ)، صوفي من العلماء بالدين ،مولده ومنشأه ووفاته ببغداد ،أصل أبيه من نهاوند ، قال ابن الأثير :امام الدنيا في زمانه، من كلامه:طريقنا مضبوط بالكتاب والسنة ،من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به. الأعلام: ١٣٧/٢.

(٣) إحياء علوم الدين :١٢٩.

(٤) ذو النون المصري :ثوبان بن إبراهيم الاخميمي، ابو الفياض او الفيض احد الزهاد العباد المشهورين ، نوبي الأصل من الموالي ، كانت له فصاحة وحكمة وشعر، مات بالجيزة سنة (٨٥٩م) ــ الأعلام: ٨٨/٢.

(٥) إحياء علوم الدين :١٢٩.

(٦) صيد الخاطر:٢٣٦، ابن القيم الجوزية .

(٧) لسان العرب: ١١٦/١٣ .

(٨) سورة البينة : من الآية : ٨.

(٩) إحياء علوم الدين :١٣٠

ولا تحسبن الله يغفل ساعـــة ولا أن ما تخفه عنه يغيـب
الم تر إن اليوم اسرع ذاهـــب وأن غدا للناظرين قريـــب[١]

١٢. وقيل:

كن رقيبا عليه في كل شأن فهـو سبـحانه عليك رقيـب
في حضور وغيبة لشـؤون ولذا لي في كل حال نصيـب[٢].

١٣. ومما يروى عن الشافعي أنه قال:

صبرا جميلا ما أقرب الفرجا من راقب الله في الأمور نجا[٣]

المبحث الثاني

حقيقة المراقبة ودرجاتها وأنواعها وفوائدها

وقد اشتمل هذا المبحث على أربعة مطالب :

المطلب الأول: حقيقة المراقبة.

المطلب الثاني: درجات المراقبة .

المطلب الثالث: أنواع المراقبة .

المطلب الرابع: فوائد المراقبة وثمرته.

---

(١) معجم الأدباء ٢م٦٩ ياقوت بن عبد الله الحموي ت ٦٢٦هـ ط/دار الكتب العلميـة ـ بيـروت سـنة ١٤١١:هـ ١٩٩١م.

(٢) الفتوحات المكية ٢٤٣/٣.

(٣) تفسير ابن كثير ٥٢٦/٤

المطلب الأول

حقيقة المراقبة

لكل شيء حقيقة وللمراقبة حقيقة يبينها الأئمة منهم الإمام الغزالي رحمه الله تعالى بقوله: (اعلم أن حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب، وانصراف الهم إليه، فمن احترز من أمر من الأمور بسبب غيره يقال: انه يراقب فلانا ويراعي جوانبه، ويعني بهذه المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة، وتثمر تلك الحالة أعمالا في الجوارح وفي القلب. أما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب، واشتغاله به والتفاته إليه، وملاحظته إياه وانصرافه إليه، وأما المعرفة التي تثمر هذه الحالة فهو العلم بان الله مطلع على الضمائر وان سر القلب في حقه مكشوف، بل اشد من ذلك .فهذه المعرفة إذا صارت يقينا اعني أنها خلت عن الشك ثم استولت بعد ذلك على القلب وقهرته ، فرب علم لا شك فيه لا يغلب على القلب، فإذا استولت على القلب استجرت القلب إلى مراعاة جانب الرقيب، وصرفت همه إليه)[١]

المطلب الثاني

درجات المراقبة

قسم العلماء ومنهم الإمام الغزالي المراقبة إلى درجتين:

(الأولى: مراقبة المقربين من الصديقين وهي مراقبة التعظيم والإجلال : وهو إن يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال، ومنكسرا تحت الهيبة، فلا يبقى فيه متسع للالتفات إلى الغير أصلا.

دخل الشبلي[٢] رحمه الله تعالى على أبي الحسن ألنوري وهو معتكف، فوجده ساكنا حسن الاجتماع لا يتحرك من ظاهره شيء، فقال له: من أين أخذت هذه المراقبة والسكون؟ فقال: من سنور كانت إذا أرادت الصيد رابطت رأس الحجر لا تتحرك لها شعرة.

الثانية: مراقبة الورعين من أصحاب اليمين، وهم قوم غلب يقين اطلاع الله على ظاهرهم وباطنهم على قلوبهم ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال، بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال، متسعة للتلفت إلى الأحوال والأعمال، إلا أنها مع ممارسة الأعمال لا تخلو عن المرقبة نعم غلب عليهم الحياء من الله فلا يتقدمون ولا يجمحون إلا بعد التثبت فيه، ويمتنعون

---

(١) إحياء علوم الدين :١٣٠ .

(٢) شيخ الطائفة، ابو بكر الشبلي البغدادي، قيل: اسمه دلف بن جحدر، وقيل: جعفر بن يونس، وقيل: جعفر بن دلف، أصله من الشبلية قرية ، ومولده بسامراء ، كان فقيها عارفا بمذهب مالك ، وكتب الحديث عن طائفة، وقال الشعر، وله ألفاظ وحكم وحال وتمكن ، توفي ببغداد (٣٣٤هـ)، عن نيف وثمانين سنة. سير أعلام النبلاء: ١٩٦٦/٢، رقم ٢٤٤٨.

عن كل ما يفتضحون به في القيامة، فإنهم يرون الله تعالى في الدنيا مطلعا عليهم فلا يحتاجون إلى انتظار القيامة)[١].

فهذه درجتان عظيمتان لمقام ومنازل المقربين، ولكن نحن بحاجة في مجتمعاتنا اليوم إلى اقل من ذلك، مع تمنياتنا للوصول إلى مقامات المقربين والورعين ولكن نريد مراقبة كل واحد منا بما هو فيه من المسؤولية سواء كان طالبا او أستاذا، موظفا او عاملا، مسئولا او سائلا، مستشعرا هذا الكلام:

(لا يغرنك اجتماع الناس عليك ، فإنهم يراقبون ظاهرك ، والله يراقب باطنك، وأفضل الطاعات مراقبة الحق تعالى على دوام الأوقات، فعليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية ، وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء، ومن راقب الله في خواطره ،عصمه الله في حركات جوارحه) .

المطلب الثالث

أنـــواع المراقبـة

يقول الإمام المحاسبي رحمه الله تعالى: (والمراقبة في ثلاثة أشياء: ١. مراقبة الله في طاعته بالعمل ، ٢. ومراقبة الله في معصيته بالترك ، ٣. ومراقبة الله في الهم والخواطر ، لقول النبي ﷺ : (اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[٢] ومراقبة القلب لله ﷻ أشد تعبا على البدن من مكابدة قيام الليل وصيام النهار وإنفاق المال في سبيل الله)[٣]

المطلب الرابع

ثمرة المراقبة وفوائدها.

ثمرة المراقبة: إن التحصن بحصن الله تعالى والتزام حدوده، والبعد عن الموبقات والمنكرات، والإخلاص والصبر في أداء العبادة، يعود على المرء بأفضل النتائج والغايات، ويسلم الإنسان من آثار العواقب الوخيمة، وكل ذلك يعود على هذا الإنسان نفسه بالخير والمصلحة، إن عاجلا في الدنيا او آجلا في الآخرة ، والله تعالى الذي يخشاه عبده لا ينساه من فضله، ولا يحجبه عن رحمته ويعوضه عن كل ما ترك من الحرام بأفضل وأولى منه وأصلح له، فان لم يرقب الإنسان ربه، تعرض للنقمة والهلاك.

---

(١) إحياء علوم الدين :١٣٠.

(٢) سبق تخريجه في الحث على المراقبة.

(٣) رسالة المسترشدين: ١٨١/١، أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي (ت ٢٤٣هـ) .

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾[١] أي أن الله تعالى يراقب عباده، ويرصد أعمال كل واحد منهم، لا يفوته احد منهم. وقال سبحانه مبينا ضرورة خشية الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴾[٢] و﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[٣] ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾[٤] .

وتأتي الأحاديث النبوية الصحيحة مؤكدة دلالات هذه الآيات الشريفة، منها ما رواه البخاري عن أنس ﷺ، قال: (إنكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر إن كنا لنعدها على عهد النبي ﷺ من الموبقات، قال أبو عبد الله: يعني بذلك المهلكات)[٥]. وهذا إشعار واضح بان الاستخفاف بالذنب او (اللامبالاة بارتكابه) يدل على قلة الخشية من الله تعالى، وقد كان الحس بعظم الذنب في أعلى مراتبه لدى الصحابة الكرام، فإنهم كانوا يرون الأمور التي استهوت غيرهم مهلكات، لعظم مراقبتهم جلال الله تعالى، وكمال معرفتهم له.

وفي هذا المعنى يروي البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ، أنه قال: (إن الله يغار وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله)[٦] ، ومعنى غيرة الله تعالى: منع الناس من الفواحش وسائر المنكرات، وانه سبحانه لا يرضى بارتكابها، ويغضب على مقترفها.

يقول الدكتور وهبة الزحيلي: أمام هذه الإنذارات والتحذيرات من انتقام الله، نجد الناس مع هذا صنفين: صنف عاقل واع، يقدر المخاطر وآثام الفواحش.

وصنف متورط، سائر مع أهواء نفسه، يعيش مع الأوهام الخادعة، والأماني الكاذبة، وهذا هو البيان النبوي المحذّر.

روى الترمذي، عن أبي يعلى شداد بن اوس ﷺ، عن النبي ﷺ قال:

(الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني)[٧]

---

(١) سورة الفجر:الآية:١٤.

(٢) سورة الأنبياء:الآية:٤٩

(٣) سورة الأنفال: الآية ٢.

(٤) سورة الأحزاب:الآية:٣٩ .

(٥) صحيح البخاري: ٥/ ٢٣٨١، رقم الحديث: ٦١٢٧.

(٦) صحيح البخاري: ٢٠٠٢/٥، رقم الحديث: ٤٩٢٥، وصحيح مسلم: ٢١١٤/٤، رقم الحديث: ٢٧٦١.

(٧) سنن الترمذي: ٦٣٨/٤، رقم الحديث: ٢٤٥٩.

وتقتضي المراقبة الإلهية: الاشتغال بما فيه النفع والصلاح في الدنيا والآخرة، وترك المرء التعرض لكل ما لا يعنيه ولا يحتاجه ولا ينفعه، وما يضره ويسيء إليه من باب أولى، روى الترمذي وغيره عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)[١].

ويبدو من مجموع كثير من الآيات والأحاديث :أنها تتجه اتجاها واحدا ، لتحقيق غاية معينة، وهي: تحقيق النفع للإنسان ذاته ، ورعاية مصلحته وحاجته ، والابتعاد عن كل ما يضره ويسيء إليه ، والعبرة بالعواقب والنتائج ، وبما يحصل في المستقبل)[٢].

فوائد المراقبة

لا شك مما مر إن المراقبة ذات فوائد ومنافع كثيرة نذكر منها إجمالا:

١. يقول د. محمد النابلسي: (وان المؤمن إذا آمن بهذا الاسم ــ أي الرقيب ــ انعكس هذا الإيمان على سلوكه انعكاسا واضحا وصارخا، فأنت إذا شعرت انك مراقب فلا بد من إن تنضبط...فشعور الإنسان بأنه مراقب، ولو من جهة أرضية، ولو من إنسان من بني جلدته لكنه أقوى منه، إذا كنت مراقبا فلا بد من أن تنضبط ، فكيف إذا أيقنت إن الله جل جلاله هو الرقيب، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[٣] [٤]

ويقول أيضا: (فحال المراقبة حال تام وارتقاء إلى الله تعالى، إذا وصلت إليه أوصلك إلى الجنة، وسعدت في الدنيا والآخرة، لان من لوازم هذا الحال الاستقامة على أمره، والاستقامة على أمر الله سبب الجنة)[٥].

٢. وجاء في موسوعة نظرة النعيم: من فوائد المراقبة: الفوز بالجنة والنجاة من النار، الأمن من الفزع الأكبر يوم القيامة، دليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام، تثمر محبة الله تعالى ورضاه، دليل على حسن الخاتمة، مظهر من مظاهر صلاح العبد واستقامته[٦].

---

(١) المصدر نفسه: ٥٥٨/٤، رقم الحديث: ٢٣١٧.

(٢) أخلاق المسلم وعلاقته بالخالق :٤٤ــ٤٥، للدكتور وهبة الزحيلي .

(٣) سورة النساء:الآية:١.

(٤) موسوعة أسماء الله الحسنى: ١٦٥/٢ أ.د محمد راتب النابلسي .

(٥) المرجع نفسه: ١٨٠/٢.

(٦) موسوعة نظرة النعيم: ٣٣٧٢/٨، إعداد مجموعة من المختصين .

٣. الهداية إلى الطريق الحق، وقوة اليقين والإيمان، يقول الأستاذ محمد التويجري: (إيثار ما انزل الله، وتعظيم ما عظم الله، وتصغير ما صغر الله، والرجا إلى الطاعة، والخوف يبعد عن المعاصي والمراقبة تهديك إلى الطريق الحق)[١]

ويقول أيضا: (المعرفة التي ثمرتها هذه الحالة فهي العلم بان الله مطلع على الضمائر عالم بالسرائر، رقيب على أعمال العباد، قائم على كل نفس بما كسبت وان القلب في حقه مكشوف، كما إن ظاهر البشرة للخلق مكشوف، بل أعظم من ذلك. فإذا استولت هذه المعرفة على القلب استجرت القلب إلى مراعاة جانب الرقيب، وصرف همه إليه، فتولد من ذلك قوة الإيمان واليقين والرغبة في الطاعات، وكراهية المعاصي والسيئات)[٢]

ويقول الإمام المناوي: (سلوك سبيل المهتدين من مراقبة الله وشهوده وإدامة الذكر والإقبال على الله بقاله وحاله ودعائه وإخلاصه)[٣]

المبحث الثالث

اثر المراقبة في إصلاح الفساد الإداري

كثيرا ما يهم الإنسان بالشر في أوقات السر والخفاء ، حيث لا يراه ولا يطلع عليه احد، فتراه يخفي عن البشر ألف ألف شيء وشيء ، ويخفي عنهم ألف ألف شعور وفكرة وقضية وسر ويبقى صامتا ولا يعلم احد شيئا عنه، فالإنسان رقيب نفسه ، ولا تتغلب نزعة الخير على نزعة الشر إلا بأحد أمرين:

١. إما رقابة الله تعالى والخوف من حسابه وعذابه وغضبه وسخطه.

٢. وإما رقابة الآخرين من البشر بسبب خوف من سلطة او بسبب الحياء من الناس وهو حال من لا يرتكب السرقة خوفا من كامرات التصوير ولا يضرب إشارات المرور تحسبا لشرطي المرور والذي لا يغش خوفا ممن يحاسبه. فإذا غاب من يخافه ويحتسبه فعل ما تأمره نفسه الأمارة بالسوء.

ولا بد من تقوية جانب الرقيب الأعلى وهو الله تعالى، وقد يسميه البعض (رقابة الضمير والوجدان) وتقوية هذا الرقيب ذي السلطان القاهر في السر والعلن ينبع من قوة الإيمان بالله ﷻ ، ويعود بالخير على الإنسان نفسه دون تعرض لضرر او أذى لوم او عتاب او قهر من احد، وهذه المراقبة هي التي أحياها القرآن الكريم في النفوس ونماها، وأشعرنا بخطورتها وأهميتها

---

(١) موسوعة فقه القلوب: ١٩٩٨/٤، للأستاذ محمد بن إبراهيم التويجري .

(٢) المرجع السابق: ١٩٩٩/٤ .

(٣) فيض القدير: ١٦٩/٤ .

قال الله تعالى مخاطبا نبيه محمدا ﷺ :﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[٢]، وقال سبحانه:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾[٣] وقال سبحانه: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾[٤] .

فمن أدرك أن الله معه، يراه في كل حركة وسكنة، وان الله عليم بكل ما يفعل ويعلم بكل شيء حتى بحديث النفس، وخيانة العين، من أدرك ذلك استحيا من الله حق الحياء، وخاف من غضبه، وأحجم عن كل شر، وهاب الحساب والعذاب في الدار الآخرة. يقول الإمام المحاسبي: (وأفضل الحياء المراقبة لله ﷻ)[٥] .

وتؤكد الأحاديث النبوية الثابتة هذا المفهوم ، منها ما أخرجه الترمذي عن أبي ذر جندب بن جنادة وأبي عبد الرحمن معاذ بن جبل رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال (اتق الله حيث كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن)[٦]، أي اجعل بينك وبين عقاب الله وقاية، وذلك بفعل أوامره واجتناب نواهيه في أي مكان كنت رآك الناس او لم يروك، وحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوما فقال: (يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف)

وفي رواية (احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك واعلم أن الخلائق لو اجتمعوا على أن يعطوك شيئا لم يرد الله أن يعطيك لم يقدروا عليه ولو اجتمعوا أن يصرفوا عنك شيئا أراد الله أن يصيبك به لم يقدروا على ذلك فإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا)[٧]

---

(١) سورة الشعراء الآيتين ٢١٨ــ٢١٩ .

(٢) سورة الحديد:من الآية:٤ .

(٣) سورة آل عمران:الآية:٥ .

(٤) سورة غافر:الآية:١٩.

(٥) الوصايا :٣١٣.

(٦) سنن الترمذي: ٣٥٥/٤، رقم الحديث: ١٩٨٧.

(٧) سنن الترمذي ٦٦٧/٤ رقم الحديث ٦٥١٦.

هذا التأكيد النبوي لنصوص القرآن الكريم مع اختلاف الأسلوب وتنويعه، يفيد في حمل النفس على مراد الله تعالى، وزجرها عن الموبقات، وإلجامها بلجام التقوى كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[١] .

فالمسلم الذي يستشعر أن الله تعالى: هو من الأسرار قريب وعند الاضطرار مجيب وان المتأمل بين حال المسلم الحقيقي الذي يراقب الله تعالى في عبادته وعمله في دنياه وآخرته وغير المسلم يجد فرقا كبيرا للغاية، فالمسلم مأمور بالمراقبة يقول الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى: (وهذا شأن المسلم انه دائم الخوف والمراقبة يستصغر عمله الصالح ويخشى من صغير عمله السيء)[٢].

والمسلم يدرب نفسه على المراقبة في العبادة مثل الصوم يقول الشيخ السعدي في تفسيره (أن الصائم يدرب نفسه على مراقبة الله تعالى فيترك ما تهوى نفسه مع قدرته عليه لعلمه باطلاع الله عليه)[٣].

وهو مؤكد أكثر في حق العلماء ومن هنا يقول المناوي رحمه الله تعالى (ينبغي للعالم مراقبة الله في السر والعلن ولزوم السكينة والوقار والخضوع والخشوع والمحافظة على خوفه في جميع حركاته وسكناته وأقواله وأفعاله فإنه أمين على ما استودع من العلوم ومنح من الحواس والفهوم)[٤].

ومن تعود المراقبة في العبادة تعودها في العمل الدنيوي واخلص فيها، يقول المناوي (ومن عرف إحاطة علمه لكل معلوم ورؤيته لكل مصر أثمر ذلك العلم الحياء منه والمراقبة وإتقان العبادة وإصلاح القلب وإخلاص العمل)[٥].

ويقول ابن حجر (وهذا القدر من الحديث أصل عظيم من أصول الدين وقاعدة مهمة من قواعد المسلمين وهو عمدة الصديقين وبغية السالكين وكنز العارفين ودأب الصالحين وهو من جوامع الكلم التي اوتيها ﷺ وقد ندب أهل التحقيق إلى مجالسة الصالحين ليكون ذلك مانعا من التلبس بشيء من النقائص احتراما لهم واستحياء منهم فكيف بمن لا يزال الله مطلعا عليه في سره وعلانيته)[٦].

---

(١) سورةالأعراف: الآية:٢٠١ .

(٢) فتح الباري: ١٠٥/١١.

(٣) تفسير السعدي: ٨٦/١ .

(٤) فيض القدير: ٢٥٣/٣ .

(٥) المرجع السابق: ٢٤٣/٦ .

(٦) فتح الباري: ١٢٠/١ .

وقال الامام النووي رحمه الله تعالى (الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوهها الا أتى بـه فقال ﷺ اعبد الله في جميع أحوالك كعبادتك فى حال العيان فان التتميم المذكور فى حال العيان انما كان لعلم العبد باطلاع الله ﷻ عليه فلا يقدم العبد على تقصير فى هذا الحـال للاطـلاع عليه وهذا المعنى موجود مع عدم رؤية العبد فينبغى أن يعمل بمقتضاه فمقصود الكلام الحث على الاخلاص فى العبادة ومراقبة العبد ربه تبارك وتعالى فى اتمام الخـشوع والخـضوع وغير ذلك وقد ندب أهل الحقائق إلى مجالسة الصالحين ليكون ذلك مانعا من تلبسه بشيء من النقائص احتراما لهم واستحياء منهم فكيف بمن لا يزال الله تعالى مطلعا عليـه فـى سـره وعلانيته قال القاضي عياض رحمه الله وهذا الحديث قد اشتمل على شرح جميـع وظـائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الايمان وأعمال الجوارح وإخلاص السرائر والتحفظ من آفات الأعمال حتى أن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه)[1].

المراجـع والمصـادر

١. أخلاق المسلم وعلاقته بالخالق : أ.د وهبة الزحيلي/دار الفكر ـ دمشق ط٣/١٤٢٧هـ .

٢. الأعلام ٢٢/١.خير الدين الزركلي .الطبعة الثالثة /بيروت .

٣. التعريفات : علي بن حمد بن علي الجرجاني (ت٨١٦هـ) ، طبعة دار الكتاب العربـي / بيروت ط١ ، سنة ١٤٠٥هـ ، تحقيق : إبراهيم الإبياري .

٤. الفتوحات المكية : للشيخ محي الدين بـن عربـي ت ٦٣٨هـ/دار صـادر/بيـروت ط١/١٤٢٤هـ .

٥. المصنف في الأحاديث والآثار: أبو بكر عبد الله بن محمـد بـن أبـي شـيبة الكـوفي (ت٢٣٥هـ) ، طبعة مكتبة الرشد / الرياض ط١ ، سنة ١٤٠٩هـ ، تحقيـق : كمـال يوسف الحوت .

٦. المعجم الكبير للطبراني : سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (ت٣٦٠هـ) ، طبعة مكتبة العلوم والحكم / الموصل ط٢ ، سنة ١٤٠٤هـ ، تحقيق : حمدي بـن عبـد المجيد السلفي .

٧. الوصايا : الحارث بن أسد المحاسـبي/دار الكتـب العلميـة /بيـروت ط١/١٤٢٤هـ تحقيق:عبد القادر عطا .

٨. تفسير السعدي : عبد الرحمن بن ناصر السعدي /مؤسسة الرسالة/بيروت سنة ١٤٢١هـ تحقيق: ابن عثيمين.

(١) شرح النووي على صحيح مسلم: ١٥٨/١.

٩. تفسير القرآن العظيم :إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ) ، طبعة دار الفكر/ بيروت ، سنة ١٤٠١هـ .

١٠. دقائق التفسير : احمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ت ٧٢٨هـ /مؤسسة علوم القرآن ـ دمشق /ط٢/١٤٠٤هـ تحقيق: د.محمد السيد الجليند.

١١. رسالة المسترشدين : أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي ت ٢٤٣هـ طبعة المطبوعات الإسلامية /حلب/ط٢/١٣٩١هـ تحقيق: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة.

١٢. سنن الترمذي او (جامع الترمذي) : محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي (ت٢٧٩هـ) ، طبعة دار إحياء التراث العربي / بيروت ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون .

١٣. . سير أعلام النبلاء ٣/٢١٦: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله (ت ٧٤٨هـ) دار النشر:مؤسسة الرسالة/بيروت سنة النشر/١٤١٣ ط: التاسعة تحقيق:شعيب الأرناؤوط محمد نعيم العرقسوسي وبيت الأفكار الدولية ـ بيروت.

١٤.شرح النووي على صحيح مسلم : أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ) ، طبعة دار إحياء التراث العربي / بيروت ط٢ ، سنة ١٣٩٢هـ .

١٥. صحيح البخاري : محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ت ٢٥٦هـ دار النشر: دار ابن كثير اليمامة/بيروت سنة: ١٤٠٧ - ١٩٨٧ط الثالثة تحقيق : د. مصطفى ديب البغا.

١٦. صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ت٢٦١هـ دار النشر: دار إحياء التراث العربي/ بيروت تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .

١٧. صيد الخاطر:ابن القيم الجوزية ت ٧٥١ هـ طبعة دار القبلتين / القاهرة،تحقيق عبد القادر عطا .

١٨. فتح الباري بشرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ت ٨٥٢هـ دار النشر: دار المعرفة/ بيروت سنة / ١٣٧٩ تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب.

١٩. فيض القدير شرح الجامع الصغير: عبد الرؤوف المناوي ، طبعة المكتبة التجارية الكبرى/ مصر ط١ سنة ١٣٥٦هـ.

٢٠. لسان العرب : محمد بن مكرم المعروف بابن منظور الأفريقي المصري-دار صادر/بيروت- لطبعة الأولى- د.ت.

٢١. مدارج السالكين :لابن القيم الجوزية ت ٧٥١هـ طبعة دار الكتب العلمية /بيروت ط٢ /١٤٠٨هـ .

٢٢. معجم الأدباء ٢م٦٩ ياقوت بن عبد الله الحموي ت ٦٢٦هـ ط/دار الكتب العلمية ـ بيروت سنة :١٤١١هـ ١٩٩١م، الأولى .

٢٣. معجم مقاييس اللغة :أحمد بن فارس، طبعة القاهرة سنة ١٩٦٩م تحقيق: عبد السلام هارون.

٢٤. مقدمة تحفة الاحوذي شرح الترمذي .ط بيت الأفكار الدولية ـ بيروت .

٢٥. موسوعة أسماء الله الحسنى : أ.د محمد راتب النابلسي /دار المكتبي ـ دمشق ط٥/١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.

٢٦. موسوعة فقه القلوب : للأستاذ محمد بن إبراهيم التويجري /بيت الأفكار الدولية ـ عمان ط١/٢٠٠٦م .

٢٧. موسوعة نظرة النعيم :إعداد مجموعة من المختصين طبعة دار الوسيلة /جدة ط٣/١٤٢٥هـ٢٠٠٤م.